أثر المنهج اللغوي
في
النقد العربي القديم

أ.د. حاكم حبيب الكريطي

م.د. عقيل عبد الزهرة مبدر

جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

ثمَّة ثلاث نظريات في نشأة اللغة: توقيف، واصطلاح، ومحاكاة. فأنصار النظرية الأولى يذهبون إلى أنَّ اللغة (توقيف)، أي أنَّها وحيٌ وإلهام من عند الله عزَّ وجلَّ، مستندين في ذلك إلى قوله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[1]، في حين يرى

أصحاب النظرية الثانية أنَّ اللغة (اصطلاح)، أي أنَّ الناس اصطلحوا على تسمية الأشياء وتوافقوا عليها، إذ احتاجوا إلى أن يُسمّوا هذه الأشياء. أما النظرية الثالثة فيذهب القائلون بها إلى أنَّ الإنسان الأول قد سمّى الأشياء بأسمائها على سبيل المحاكاة لأصوات الحيوانات والظواهر الطبيعية التي كانت تحيط به. وكانت هذه النظريات الثلاث قد استقرّت ـ بمرور الزمان ـ في الدرس اللغوي، تفسيرا لنشأة اللغة، بيد أنَّ أغلب العلماء العرب يميلون إلى القول بنظرية (التوقيف)، أي أنَّ اللغة كانت وحيا وإلهاما من عند الله عزَّ وجل، ثمَّ اختار الناس ما احتاجوا إليه من الصيغ والاشتقاقات والتراكيب [2]. فالجاحظ (255هـ) ـ وهو معتزلي ـ لم يتردّد في القول بـ(توقيف) اللغة، إذ عدَّ إسماعيل أول من فتق الله تعالى لسانه بالعربية[3]. وهو بذلك يخالف أصحابه (المعتزلة) القائلين بالاصطلاح[4]. ومن العلماء من ذهب إلى أكثر من هذا، إذ حاول أن يجد لغة ترجع إلى آدم، من خلال شعر تنسبه إليه بعض المصادر، فإن لم يكن هذا ممكنا ـ وهو كذلك ـ فلا بأس في أن يجدوا ما ينسبونه إلى عاد وثمود[5]، وهو ما لا يصحُّ أيضا[6].

ومهما يكن من أمر، فإنَّ هذا القول، بوضع اللغة من الله تعالى، قد منح اللغة ضربا من الاستقلال، وصارت الألفاظ اللغوية لا ترتبط بما تدلُّ عليه من معانٍ بأيِّ سبب عقلي أو منطقي[7]. وكان سيبويه (180هـ) قد أشار إلى هذا الرأي إذ تكلم على (الاسم غير المسمّى)[8]، وهو رأيٌ يقترب من آراء الفرق الإسلامية عامة، باستثناء الأشاعرة[9]. وهذا يعني أنَّ المعنى مستقل بذاته قبل أن يُفصح المتكلم عنه باللفظ الدال عليه، وأنَّ الكلمة وحدها تدلُّ على المعنى، من دون أن تحتاج إلى أخت تؤازرها لبيان معناها. فالألفاظ ـ إذن ـ ليست متحدة بالأشياء الدالة عليها، لذا صارت المعاني ثابتة، إذ اكتسبت هذا الثبوت من (المطلق) الذي وضعها. وعلى

الرغم من إمكانية خلخلة هذا (الثبوت)، بالالتفات إلى تعانق التراكيب وما ينتج عنها من معان، فإنَّ هذا الاعتقاد بثبوت المعاني أغرى كثيرٌ من العلماء العرب - وفي مقدمتهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) - بوضع المعاجم اللغوية، إذ يأتي العالم باللفظة المفردة ومعناها، ثمَّ يورد الشواهد التي تتهيأ له، بما يؤكد دلالة اللفظة على المعنى المراد، فضلا عمّا يمكن أن يوفره الاستعمال الاجتماعي من دلالات أخر لكثير من المفردات، من خلال السياق الذي ترد فيه.

وخضع النقد العربي القديم إلى هذه النظرة اللغوية الصارمة، إذ لم يكن بمقدوره أن ينأى عن التأثر بها ومن ثمَّ الخضوع لها، فيما سيصدر عنه من أحكام نقدية، لأنَّ أعلامه الأوائل، كعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(117هـ)، وأبي عمرو بن العلاء(154هـ)، ويونس بن حبيب(182هـ)، والأخفش(215هـ) وغيرهم، كانوا من اللغويين، فضلا عن أنَّهم ممّن يميلون إلى القول بوضع اللغة، ويخلصون إلى ثبات المعاني[10]، لذا انصب جهد هؤلاء العلماء على تفسير الشعر وشرحه، أي أنَّ خصائص اللغة التي تكشف عن معاني الألفاظ انتقلت إلى النقد الذي وظفوه على وفق هذه الخصائص، فكانت شروح الدواوين والمجاميع الشعرية ضربا من العمل المعجمي، إذ تُشرح الأبيات بحسب روايتها في القصيدة، بل تُشرح ألفاظ البيت بحسب طريقة أصحاب المعاجم، تلك الطريقة التي لا تلتفت إلى السياق إلا في النادر، وإنَّما تركز على المعاني (الثابتة) للألفاظ. يقول ابن السكيت(246هـ) شارحا بيت الحطيأة:(الطويل)

متى تأتهِ تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد[11]

((يقال: عشا يعشو، إذا استدل ببصر ضعيف، وقد عشيَ يعشي إذا صار أعشى، وقوله: يعشو، في محل نصب، أراد : متى تأتهِ عاشيا، قال الهذلي:(الطويل)

شهابي الذي أعشو الطريقَ بضوئه ودرعي قليل البأسِ بعدكَ أسودُ[12]

فابن السّكيت - هنا - التفت إلى المعنى اللغوي للفعل (تعشو) المرتبط بسوء البصر بالليل والنهار [13]، من دون أن يعبأ بالمعنى الذي يترشح من السياق، ففي بيت الحطيأة يستدلُّ المخاطب بضوء نار الممدوح، وفي بيت ساعدة بن جؤية

الهذلي يأبى السياق أن تشير لفظة (أعشو) إلى سوء البصر، على أنَّ هذا المعنى ينافي ما يرمي إليه الشاعر من رثاء لابن أبي سفيان، فالمرثي شهاب يستدلُّ الشاعر على طريقه بضوئه، كما يستدلُّ على ممدوح الحطيأة بضوء ناره. وفي ضوء تفسيرنا، تكون لفظة (تعشو) قد أسهمت في الإبانة عن المعنى المتعدد[14] لها الذي قد يخالف ما أراده ابن السّكيت من المحافظة على أصل المعنى لهذه اللفظة، على وفق المنهج الذي أشرنا إليه.

وثمة مثال آخر لتمسّك اللغويين بالمعنى المركزي للمفردة، من دون النظر إلى ما ينتجه السياق من معان أخر. يقول ثعلب(291هـ) شارحا بيت زهير:(الطويل)

ونضــرُبُهُ حتــى اطمــأنَّ قذالــه ولــم يطمــئن قلبــه وخصــائله

((قذاله: موضع العذار.. والقذالان: ما عن يمين النقرة وشمالها، وهما معقد العذار من الفرس))[15]. فهذا تفسير مشروع لبيان المعنى المركزي للمفردة، بيد أنَّه يفتقر إلى بيان ما أنتجه السياق من دلالة أخرى للمفردة، تتمثل في نشاط هذا الجواد وحيويته، إذ يجذب أصحابه ويجذبونه، وهو يرعد لحرصه على الصيد، ولم يطمئن حتى ضُرب على قذاله (رأسه). وهذا الضرب وجه جذاب لمدح هذا الجواد ونشاطه. ولا ريبَ في أنَّ ثعلبا ـ وهو إمام من أئمة النحو ـ قد خلص إلى مراد النص قبل مراد المفردة، بيد أنَّ تمسكه بالمنهج اللغوي جعله يكتفي بما أورده من معنى. ولعله اكتفى بما بلغه من تعليقٍ للأصمعي(216هـ) على البيت، إذ قال في الجواد: ((كان رافعا رأسه فضربناه حتى نكس رأسه))[16]، وفي هذا القول كناية عن الهدوء الظاهري للجواد بسبب الضرب.

من هنا تمسّك أهل اللغة بما تؤديه الألفاظ من دلالات مستقرة، ولم ينظروا إلى البيت ومن ثمَّ إلى القصيدة من خلال تضافر المستويات الصوتية الصرفية والنحوية والدلالية والتصويرية، فجاءت شروحهم للقصائد بيتا بيتا، وعلى القارئ أن يلم أشتات الأجزاء المشروحة (ألفاظ الأبيات)، ليصل إلى ما يتاح الوصول إليه من معانٍ على وفق هذه التجزئة. فمثلا، على الرغم من الثراء المعرفي لابن قتيبة

(276هـ)، فان هذا المنهج اللغوي قد حال بينه وبين أن يتنبّه إلى ما في هذه الأبيات من إيحاء جميل:(الطويل)

ولمّا قضينا من منى كلَّ حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسحُ
وشُدت على حدب المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطحُ

إذ عدَّها من الأبيات التي لا تقدم معنى نافعا على الرغم من حسن ألفاظها[17]، فابن قتيبة ـ الذي كان فقيها ومحدِّثا قبل أن يكون ناقدا أو أديبا ـ لم يلتفت إلى ما يمكن أن يقدمه السياق من دلالات معرفية وجمالية، تسبغ على النص ما لا تؤديه الألفاظ بمعانيها المفردة، ذلك بأنَّ تجزئة معاني الأبيات الثلاثة تحيلها إلى جمل خبرية تقريرية لا تؤدي المعنى الذي أراده الشاعر منها، إذ عاد من الحج بفيض من الحبور لأدائه العبادي، مشتاقا إلى مضارب قومه وأهله، في مشهد تصويري بلغ ذروته في البيت الثالث، بما فيه من أداء بياني، تحررت فيه الألفاظ من أرديتها المعجمية واكتست ألواناً زاهية من البلاغة الموحية المؤثرة. ومع هذا، فنحن لا ننفي أن يكون ابن قتيبة قد أدرك المعنى الشعري لهذه الأبيات وما فيها من جما ل بياني، بيد أنَّه لم يستطع أن ينتصر لذوقه، في ضوء المنهج اللغوي الذي احتكم إليه، سواء أكان في النظر في هذه الأبيات أم في تقسيمه المنطقي للشعر[18].

وقد أسهم بعض من تصدّى للنظر في النص القرآني وتفسيره في إثبات هذا المنهج اللغوي، فساندوا بذلك علماء اللغة فيما رسخّوه من سيادة لهذا المنهج، فحين احتاج هؤلاء إلى بيان ما أشكل عليهم من مفردات في التعبير القرآني، استحضروا مقولة عبد الله بن عباس (68هـ): ((إذا اشتبه عليكم شيء من القرآن فاطلبوه في الشعر))[19]، فرجعوا إلى الشعر الجاهلي يتلمسون فيه ما يبتغون من دلالات لآي الذكر الحكيم، ولكنَّ بعضهم تحرَّج من التعامل مع هذا الشعر، على أنَّه ينتمي إلى حقبة شرك وضلال. وهذا معيار ديني، يصلح في ميدانه ولا يصلح لأن يُحتكم في الشعر إليه. لذا راحوا يلتقطون اللفظة، بمعناها المستل من السياق الشعري الذي ترد فيه، ليفسروا بها ما تشابه معها من الألفاظ القرآنية، لأنَّهم يرون، كما أهل اللغة، أنَّ

للألفاظ دلالات ثابتة، فبدأ التفسير بالمفردة ومعناها، على النحو الذي نراه عند عبد الله بن عباس، سواءٌ أكان في تفسيراته اللغوية التي اتكأ عليها كثير من المفسرين أم في التفسير المنسوب إليه الذي يسمّى بـ(تنوير المقباس) [20].

إنَّ لهذه المفردات ـ التي فسرت بهذه الطريقة ـ قدسية وهي في النص القرآني، فلا بأس ـ إذن ـ أن تحتفظ بشيءٍ من هذه القدسية وهي خارج الكتاب العزيز. من هنا اكتسبت مفردات اللغة قدسية أخرى، فضلا عن تلك التي ارتبطت بها ـ كما مرَّ بنا ـ وهي في وضعها الأول، في ضوء نظرية (التوقيف). وهكذا صار المنهج اللغوي منهجا للمفسرين واللغويين معا.

وإذا ما عدنا إلى أواخر العصر الأموي وبدايات العصر العباسي يطالعنا ضرب من الصراع العلمي بين اللغويين والشعراء على مرجعية النقد. فاللغويون يرون أن نقد الشعر حقٌّ لهم وحتمٌ عليهم، على أنَّهم يعرفون من أين تؤكل كتف اللغة، بل منهم ـ كالخليل بن أحمد الفراهيدي ـ مَن يرى نفسه سكان سفينة الشعراء[21]، وما على الشعراء إلا التسليم له، وهو يقود السفينة بين أمواج اللغة العاتية. من هنا راح بعض الشعراء، ممّن لم تنضج ملكتهم الشعرية بعدُ، يستكشفون آراء علماء اللغة بأشعارهم قبل إذاعتها بين الناس، معترفين بحقِّهم في التصدي لنقد الشعر، فهذا شاعرٌ جاء إلى خلف الأحمر(180هـ) وقال له: ((إنّي قد قلت شعرا أحببت أن أعرضه عليك لتصدقني عنه، قال هات، فأنشده:(الكامل)

رقد النوى حتى إذا انتبه الهوى بعث النوى بالبيت والترحال
ما للنوى جدّ النوى قطع النوى بالوصل بين يمامن وشمال

فقال له خلف: دع قولي واحذر الشاة، فوَ اللهِ لئن ظفرت بهذا البيت لتجعله بعرا، بل إنّي ما ظننت بك هذا كله))[22]. فعلى الرغم من أنَّ خلفا كان يدرك أنَّ الشاعر أراد بلفظة (النوى):البعد، بيد أنَّه حمل هذه اللفظة ـ التي كرّرها الشاعر خمس مرات ـ على معنى: نوى التمر الذي تستطيبه الشاة وتأكله لتخرجه بعرا، كي يسخرَ من هذا الشعر وصاحبه الذي سيقف متأملا استفتاء خلف الأحمر، بعد أن رفض إجازته شاعرا.

أمّا الشعراء الكبار فقد برموا بوصاية اللغويين وقيودهم، وراحوا يظهرون ذلك أقوالا وسلوكا، فكعب بن زهير حذر ((أهل اللغة العلماء بالفطرة، من التضجّر ممّا قد يورده في شعره لأنَّه أبصر به منهم))[23]. والفرزدق شتم العالم اللغوي ابن أبي إسحاق الحضرمي لاعتراضه على (مجلّفه) المرفوع وهو يستحق النصب[24]. وبشار اعترض على يونس بن حبيب وأبي عبيدة (210هـ) لتفضيلهما الفرزدق على جرير بقوله: ((ليس هذا من عمل أولئك النقاد، إنَّما يعرف الشعر من يضطر إلى أن يقول مثله))[25].

إنَّ هذا التجاذب العلمي يدور في فلك التفاخر بمعرفة خفايا اللغة وما يمكن أن يقام بين ألفاظها من صلات، تنفتح على صروح من الدلالات، يعرفها اللغويون والشعراء على السواء، فصار اللغوي يجنح إلى منهجه اللغوي المبني على استكشاف النصوص واستنطاقها، على وفق محدداته وقواعده، والشاعر تتقاذفه شياطين الشعر من هنا وهناك، وتجعله يتمرَّد على أيِّ قيد يُفرض عليه.

ومع بلوغ المنهج اللغوي في نقد الشعر ذروته، بدأ الخلاف بين الشعراء واللغويين بالانحسار شيئا فشيئا، حفاظا على اللغة، حتّى آل أمر النقد إلى أصحابه من الأدباء النقاد، على وفق منهج أدبي فني في فهم الشعر ونقده، وإن لم ينجُ هؤلاء النقاد من تأثير المنهج اللغوي، حتّى زمن (عمود الشعر) عند المرزوقي (421هـ)، ذلك بأنَّ المنهج الأدبي قد ولد من رحم المنهج اللغوي الذي يعدُّ الركيزة الرئيسة التي استند إليها النقاد العرب في بلورة آرائهم النقدية.

من هنا يمكن أن نفهم اعتراض ابن طباطبا العلوي (322هـ) على الحطيأة، إذ جعل المشافر للإنسان وهي للإبل، في أصل استعمالها اللغوي، وذلك في قوله الذي يهجو به الزبرقان بن بدر: (الطويل)

قروا جارك العميان لما جفوته وقلّص عن برد الشراب مشافره[26]

فابن طباطبا، بحكم تمسّكه بالمنهج اللغوي وخضوعه له، لم يعبأ بدلالة السياق التي تآزرت مع اللفظة وسوغت للشاعر الانتقال بدلالتها من الإبل إلى الإنسان

لتبشيع صورة المهجو، وبيان ما أصابه وهو في جواره. وبهذا تتضافر العوامل الاجتماعية ـ والجوار من أعمدتها ـ مع النص لبيان حسن الاستعمال الشعري لهذه اللفظة التي آثر الحطيأة أن يجعلها علامة لشفتيه، من دون أن تثير فينا من الاشمئزاز ما أثارته صورة (مشفري كافور) في بيت المتنبي، وهو قريب العهد بابن طباطبا: (الطويل)

فإن كنتَ لا خيرا أفدتَ فإنَّني أفدتُ بلحظي مشفرَيْك الملاهيا[27]

ولم يغب هذا المنهج اللغوي عن ذهن ابن طباطبا حين نظر في بيت الأعشى الذي يقول فيه:(البسيط)

تقول بنتي وقد قرَّبتُ مرتحلا يا ربِّ جنِّب أبي الأتلاف والوجعا

فهو يرى أنَّ النسيج اللغوي يوجب على الأعشى أن يقول:((يا ربِّ جنِّب أبي الأتلاف والأوجاع أو التلف والوجع))[28]، بمعنى أنَّ على الشاعر أن يجمع اللفظتين معا أو يفردهما معا. وهذه قاعدة نحوية تحكم على بيت تمرّد عليها قبل ولادتها بزمن طويل. ولا ريب في أنَّ هذا الخدش اللغوي الذي أحدثه الشاعر ـ بوعي تام ـ قد جاء تعبيرا عن إحساسه المتواصل بالألم لفراق ابنته وأهله فصارت أوجاعه وجعا واحدا، في حين إنَّ ذكر (الأتلاف والأوجاع)، على وفق ما يرغب به ابن طباطبا وتفرضه القاعدة النحوية، قد يوحي للمتلقي بأنَّ ثمة ألما وراحة يتناوبان، وهو ما لا يريده الشاعر، إذ اجتمعت آلامه كلها لتكون ألما واحدا، سوّغ له ما أراد وسوّغ لابن طباطبا التنكر له.

من هنا ـ أيضا ـ يمكن أن نفهم قول الآمدي (370هـ) ـ الذي تزوَّد من هذا المنهج ـ بشأن وضع الألفاظ في مواضعها، حين يطلب من الشاعر أن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله[29]. فهذه دعوة إلى استثمار السياق، لا لتوليد دلالات جديدة للألفاظ، وإنَّما لإنتاج الدلالات المألوفة التي تصدح بها السياقات المماثلة وعدم التجاوز عليها[30]، بما يخلخل ما استقر في أذهان أهل اللغة من تلك

الدلالات، وكأنَّ الصياغة اللغوية التي يبتغيها اللغويون هي الأحرى بالإتباع من الصياغة الجمالية التي يبحث عنها الشعراء.

وكان من أثر المنهج اللغوي في الفكر النقدي عند العرب، أن رجعوا إلى الشعر العربي القديم يتمثلونه، بوصفه الحاضنة الأصيلة للغة، وعلى أنَّه قريب العهد بوضع اللغة، وأنَّ القرآن الكريم نزل بلغته، فصار هو المثال الذي يجب على شعراء العصور اللاحقة أن يتمثلوه، مثلما تمثله أهل اللغة، وصار شعراء ذلك المثال هم المقدّمون لتقدم زمانهم، فتقدم المتقدم لتقدم زمانه وإن كان متأخرا، وتأخر المتأخر لتأخر زمانه وإن كان متقدما، ومن ثمَّ صار الزمن معيارا من المعايير التي يحتكم إليها في الشعر والشعراء. ولعلنا ـ هنا ـ نشعر بالأسى الذي كان يغلف نفس أبي عمرو بن العلاء، وهو يقول في الأخطل: لو أدرك يوما من الجاهلية ما قدمت عليه جاهليا ولا إسلاميا[31]. نعم، هذا الأسى الذي يشي بعدم رغبته، بل بعدم قدرته على تجاوز ما قرَّره هو وأضرابه من علماء اللغة بشأن الزمن، ليضع الأخطل الأموي في المكان الذي يستوعب شاعريته ويليق به بين الشعراء العرب، فموقفه ـ هنا ـ موقف اعتذار ودفاع عن الزمن المقدس الذي أضحى معيارا نقديا.

إنّ هذه المنظومة اللغوية التي رسَّخها العلماء العرب في النظر إلى الشعر القديم، حرصت على عدم التغافل عمّا يمكن أن يقع فيه شعراء ذلك العصر من مخالفات قد تخرج قليلا على الإجماع الشعري في ضوء المنهج اللغوي. فإذا ما حدث مثل هذا تكون حركة اللغويين باتجاه لغتهم، لذا عدَّ ابن طباطبا قول المثقب العبدي في ناقته:(الوافر)

تقول إذا درأت لها وظيني أهذا دينه أبدا وديني

أكلّ الدهر حلٌّ وارتحال أما يُبقى عليَّ ولا يقيني

من المجاز المباعد للحقيقة[32]. ونحسب أنَّ هذه المراوغة المعرفية من ابن طباطبا تعبّر عن حرصه على الموازنة بين ما تريده اللغة من إنَّ القول للإنسان فقط، على أنَّه ((كلُّ لفظ قال به اللسان))[33]، وما يريده الشاعر ـ وهو ما يُدركه ابن طباطبا ـ من تشخيصٍ لناقته التي تتشكى منه إليه. وإذا كان ابن طباطبا قد وازن ـ

هنا ـ بين الأمرين، فأبو هلال العسكري (395هـ) التزم بصرامة اللغويين وعدَّ قول المثقب ((من المعيب))[34].

إما إذا أخلَّ الشاعر القديم بالمقومات التي يريدها أهل اللغة، فإنَّ ذلك يُفقده الهيبة التي لأقرانه، وإن كان معاصرا لهم. فعدي بن زيد العبادي الذي ((لانَ لسانه وسهل منطقه))[35]، عند أبي عمرو بن العلاء، وهو ((كسُهيل في النجوم يعارضها ولا يدخل فيها))[36]، وهو ليس بفحل ولا أنثى عند الأصمعي[37]، على أنَّ لين اللسان وسهولة المنطق عائق لغوي حال بين عديٍّ والارتقاء إلى طبقة الشعراء الفحول. إذن، لم يشفع (الزمن) لعدي، ذلك بأنَّ شفاعة الزمن رهنٌ بالتزام الشاعر بما يقرره اللغويون من قواعد وأصول.

من هنا، نشأت قضية الصراع بين (القديم والحديث)، ومن ثمَّ تطور هذا الصراع، حتى صارت هذه القضية من القضايا الكبرى في النقد العربي القديم. فضلا عن هذا، فقد كانت العناية بـ(وحدة البيت)، من حيث الألفاظ والصياغة وتمام المعنى مع تمام البيت، من نتائج تسلّط المنهج اللغوي على الذوق النقدي العام الذي لم يكن قد نضج بعد، فساد اعتقادٌ بأنَّ الوحدة الشعرية تتمثل في البيت لا في القصيدة، ومن ثمَّ شاع عرفٌ نقديٌ يقضي بالتمسّك بوحدة البيت والاهتمام بتمام المعنى في البيت الواحد، بما ينسجم مع مفهوم اللغويين والنحويين في (كلامنا لفظ مفيد كاستقم)، حتّى قالوا:((إنَّ خير الشعر ما لم يحتج بيت منه إلى بيت آخر، وخير الأبيات ما استغنى بعض ألفاظه ببعض إلى وصوله إلى القافية))[38]، وتحدثوا عن (الأبيات السائرة) التي تستقلُّ بنفسها، إذ تؤدي معنى تاما ومفيدا، كقول النابغة:(الطويل)

ولستَ بمستبقٍ أخا لا تلمه على شعثٍ أي الرجال المهذب

((فلو تمثل إنسانٌ ببعضه لكفاه، إنْ قال: أيُّ الرجال المهذب كفاه، وإن قال: ولستَ بمستبقٍ أخا لا تلمه على شعثٍ لكفاه))[39]. وبهذا صارت الأبيات السائرة معيارا نقديا، يحتكم إليها في تقدّم الشاعر أو تأخره، فإذا لم يكن للشاعر أبيات سائرة

بين الناس عُدَّ متأخرا، مثلما تأخر الأعشى، على كثرة شعره، إذ لم يكن له بيت سائر على أفواه الناس[40].

وعلى الرغم من أنَّ هذا العرف لم يستند إلى أسس فنية، فإنَّ كثيرا من النقاد العرب لم يتمكنوا من الخروج عليه، بل ذهب بهم النظر الساذج إلى أبعد من هذا، إذ راحوا يفتشون في الشعر العربي عن أغزل بيت وأمدح بيت وأهجى بيت..... [41]. لذا عدَّ هؤلاء النقاد (التضمين) عيبا وتقصيرا[42]، من دون أن يعبأوا بحاجة الشاعر ـ أحيانا ـ إلى مثل هذا التضمين لتمام المعنى، مثلما جاء في قول النابغة:(الوافر)

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ إنّي
شهدت لهم مواطن صالحات أتيناهم بحسنِ الودِّ منّي[43]

فالشاعر لا يقف على نهاية عجز البيت الأول حين يُنشد هذين البيتين، لعدم تمام المعنى، إذ تبقى (إنَّ) تلحُّ في طلب خبرها حتّى يُنشد البيت الثاني. وهنا يُخلُّ الشاعر بـ(وحدة البيت)، في ضوء العرف النقدي الذي تقدَم ذكره، برغم الإيقاع الجميل الذي أنتجه إنشاد البيتين على هذا النحو المتصل.

وثمَّة أثرٌ آخر من آثار تغلب المنهج اللغوي في النقد العربي القديم، يتمثَّل في النظر الشعر على أنَّه تجربةٌ عامة، يشترك فيها جميع الشعراء، مثلما يشتركون في اللغة، فلا يحقُّ للشاعر ـ على وفق هذه الرؤية ـ أن يتجاوز ما حدَّه أهل اللغة. وهذه نظرةٌ لا تخلو من قسوة نقدية، فعلى الرغم من أنَّ البناء الشعري يقوم ـ أولا ـ على أسس لغوية، بيدَ أنَّ التجربة الشعرية تجربة فردية، تخضع إلى قدرات المبدع وطبيعة هذه التجربة. لذا ليس للناقد أن يلوي عنق النص في ضوء ما يريده أهل اللغة، أو أن يُخضع النصَّ إلى معايير ليست له. وثمَّة فرق بين أن تقهر الشاعر بالقاعدة وأن تتغاضى عنه وهو يبسط ذاته في نصوصه، بحسب ما تمليه عليه تجربته، مع أهمية الحفاظ على شموخ اللغة وكيانها وثوابتها التي لا يصحُّ المساس بها. فالتضمين ـ مثلا ـ ليس فيه ما يمسُّ جوهر اللغة، بل فيه حرصٌ من الشاعر على ملاحقة الدلالة التي تُعدُّ إحدى البؤر اللغوية للنص، والشاعر الذي قصد للشعر

قصدا ـ كما يقول ابنُ جنّي (392هـ) ـ : ((لم يحتسهِ حسيّا على ما خطر وجرى على لسانه، بل روى في خاطره واجتهد في تجويده ولم يقتضبه اقتضابا))[44]. وفي قول ابن جني هذا ما يوحي بالإنكار على اللغويين، ممَّن يريدون أن يقيِّدوا الشاعر بما لا يمسُّ جوهر اللغة وأصولها.

ونختم بحثنا هذا بالحديث في أثر آخر من آثار المنهج اللغوي في النقد العربي القديم، يجسده الاهتمام بالمعنى وتقديمه على اللفظ، على أنَّ الألفاظ خدم للمعاني، ولا ريبَ في أنَّ المخدوم أشرف من الخادم[45]. وسمِّيت هذه القضية بقضية (اللفظ والمعنى) التي تُعدُّ ـ أيضا ـ من القضايا المثيرة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. من هنا بدأ الاهتمام بالشكل الذي أضحى تابعا للمعنى أو المضمون، ووضعت حركات الإعراب في ضوء قصد المتكلم، وصارت مقولة (الإعراب فرع المعنى) شائعة بين اللغويين والنقاد الذين خضعوا لهذا المؤثر، على الرغم من إدراكهم أنَّ للشكل قدراتٍ إيحائية، من شأنها أن تنتج معاني فرعية لتعضِّد المعنى العام، وتظهر قيمته الجمالية التي يبتغيها النقاد.

ومن هنا راح النقاد يختبئون خلف مصطلحات، من أمثال (الحسن والقبح) و(تفاوت النسج) ليردعوا بها من لا يبجِّل المعنى العام المجمع على صحته، من حيث الإعراب والانتماء إلى التراث وانسجامه مع الأعراف الاجتماعية. لذا عابوا على النابغة قوله في النعمان بن المنذر: (البسيط)

أحكم كحكم فتاة الحي إذَ نَظَرَتْ

إذ قالوا ((أمرَه أن يحكم كحكم المرأة))[46]. وهذا العيب يستند إلى معيار اجتماعي يأنف النزول بمقام الملك ـ الذي يُشتفى بدمه ـ إلى هذه المرتبة، على الرغم من أنَّ الشاعر طلب من الملك أن يكون مصيبا ودقيقا ومتأنيا في حكمه كإصابة هذه الفتاة ودقتها وأناتها. وهذا الضرب من الهجاء المطلي بالمديح لا يتناسب مع ما يريده النقاد في مخاطبة الملوك إذا مدحوهم[47]:

ويُخطِّئُ أبو هلال العسكري امرأ القيس في قوله:

ألــم تســأل الربــع القــديم بعسعســا كـــأنّي أنـــادي إذ أكلِّـــم أخرســـا

بقوله ((هذا من التشبيه فاسد، لأجل أن لا يقال: كلمت حجرا فلم يجب، فكأنَّه كان حجرا، والذي جاء به امرؤ القيس مقلوب))[48]. فأبو هلال ـ هنا ـ ينظر إلى المعنى الظاهري للنص، ولا يريد أن يسبر غوره ليستخرج منه ما يمكن أن يوحي به من معانٍ ثانوية تكشف عن براعة الشاعر، إذ نظر إلى النص بعين ناقد ترى الصور بمنظار اللغويين، ولو نظر إليه بعينه الناقدة فحسب، لعبَّر عن هذا التشخيص الجميل للديار التي أحبَّها الشاعر وأحبته، إذ جعلها تتكلم، على أنَّ العِيَّ والصمت صفة طارئة عليها، بعد رحيل أهلها عنها، وقد خاطبها وظنَّ أنَّها صارت خرساء وهي لم تكن كذلك من قبل.

وبعد، فإنَّ هذه الآثار ـ التي خلَّفها المنهج اللغوي في النقد العربي القديم ـ لا تنفي التفات هذا النقد إلى القيم الجمالية في الشعر، من خلال معاودة النظر في المنهج اللغوي ذاته، بين حين وآخر، على الرغم من تعدُّد مناحي القول، باختلاف ميول القائلين وأهوائهم وطبيعة الثقافات التي يصدرون عنها. ولعلَّ هذا الذي حمل الدكتور محمد عابد الجابري على القول: إنَّ اللغة العربية ظلت تصنع الثقافة والفكر العربي[49].

الخاتمة

أما النتائج التي خلص إليها هذا البحث فيمكن إجمالها على النحو الآتي:

إنَّ معظم العلماء الذين نظروا في الشعر كانوا علماء لغة، قبل أن يكونوا نقاداً أو أدباء، لذا جاءت أحكامهم النقدية على وفق المنهج اللغوي الذي حال بينهم وبين أن يدركوا جمال كثير من الصور الشعرية، إذ عدّوا تحليل الشعر ونقده ضرباً من العمل المعجمي، من دون أن يلتفتوا إلى ما يمكن أن ينتجه السياق من دلالات موحية ومؤثرة، بتضافر المستويات الدلالية كافة، ومن ثمَّ نظروا إلى الشعر على أنَّه تجربة عامة، يشترك فيها جميع الشعراء مثلما يشتركون في اللغة، فجاءت شروح الدواوين والمجموعات الشعرية في ضوء هذا المنهج، إذ اهتم هؤلاء العلماء ببيان معاني المفردات أكثر من اهتمامهم بما يتطلبه نقد الشعر من الوقوف على الصور الشعرية

واستنطاقها، إذ تتجلى فيها . عادةً . براعة الشعراء، من خلال استثمارهم لطاقات اللغة في الألفاظ التراكيب.

وحين فسر بعض هؤلاء العلماء آي الذكر الحكيم . في ضوء هذا المنهج . فإنَّهم عجزوا . أيضاً . عن إدراك معاني كثير من الصور البيانية التي وردت في الكتاب العزيز.

من هنا نشأ النقد اللغوي، وصار هذا النقد يؤلف مظهراً مهماً من مظاهر النقد الأدبي، ومن ثمَّ أسهم في نشوء بعض القضايا النقدية وتطورها، كقضية (القديم والحديث) التي ولدت من رحم الصراع بين الشعراء واللغويين، بعد أن صار (الزمن) معياراً نقدياً يحتكم في الشعر إليه.

وكان الاهتمام بـ(الأبيات السائرة) . التي تستقلُّ بنفسها وتؤدي معنى مفيدا .، والعناية بـ(وحدة البيت)، من حيث الألفاظ والصياغة وتمام المعنى مع تمام البيت، من نتائج تسلط المنهج اللغوي على الذوق النقدي العام، حتى عُدَّ (التضمين) عيباً شعرياً.

وبعدُ، فلعلنا لا نغالي إذا ما قلنا: إنَّ المنهج اللغوي كان من أكثر المناهج إسهاماً في صياغة أحكام النظرية النقدية عند العرب، حتى أضحى التداخل بين علم اللغة والنقد الأدبي من أظهر السمات التي تميز بها النقد العربي القديم، وإنَّ كلَّ قضية من القضايا النقدية التي مرَّ عليها هذا البحث مروراً سريعاً، يمكن أن تنهض بحثاً قائماً بنفسه، بأن نطيل الوقوف عندها ونفصِّل القول فيها.

هوامش البحث

(1) البقرة:31

(2) أنظر: الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: محمد علي النجّار: 41/1،47، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم:20/1، وفلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج:23،24.

(3) أنظر: رسائل الجاحظ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: 193/3.

(4) أنظر: الخصائص (مقدمة المحقق):44، والمزهر:20.

(5) أنظر: جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، شرح وتقديم: علي فاعور:39-42.

(6) أنظر: طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام بن الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر:9/1،10

(7) أنظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ.ريتر: 277، والمخصص، لابن سيدة:3/1، واللغة العربية بين المنطق العقلي والاعتباط، د. عدنان محمد سلمان: 167

(8) أنظر: لسان العرب، مادة (سما).

(9) أنظر: شرح أسماء الله الحسنى، الفخر الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد:21.

(10) أنظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد:26، والمزهر:20

(11) ديوان الحطيأة، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه:81.

(12) أنظر: ديوان الهذليين:238/1، والبيت لساعدة بن جؤية الهذلي.

(13) أنظر: لسان العرب، مادة (عشا).

(14) أنظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين:170

(15) شرح ديوان زهير، صنعة: ثعلب: 118.

(16) المصدر نفسه: 118.

(17) أنظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر:66/1

(18) وكان ابن قتيبة قد قسّم الشعر على أربعة أضرب: ((ضرب حسن وجاد معناه .....، وضرب حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتّشته لم تجد هناك فائدة في المعنى .....، وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه .....، وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه)). أنظر: الشعر والشعراء: 1/64-70

(19) مجالس ثعلب، ثعلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون:1/ 317.

(20) أنظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: 2.

(21) أنظر: زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، تحقيق: علي محمد البجاوي: 633/2.

(22) الموشح، للمرزباني، تحقيق: علي محمد البجّاوي:451.

(23) أنظر: المستطرف في كلِّ فن مستظرف، شهاب الدين الأبشيهي، تحقيق: عبد الله أنيس الطبّاع:150/1.

(24) أنظر: الشعر والشعراء 75/1، والموشح: 135.

(25) أنظر:إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق: السيّد أحمد صقر:156/1.

(26) عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: د. طه الحاجري و د. محمد زغلول سلام:121، وديوان الحطيأة:25

(27) شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي: 319/2

(28) عيار الشعر:110، وديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين:101.

(29) أنظر: الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري، الآمدي، تحقيق: السيّد أحمد صقر:433/1.

(30) أنظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمّام حسّان:354

(31) أنظر: فحولة الشعراء، الأصمعي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي:23،24.

(32) أنظر: عيار الشعر:120، وديوان المثقب العبدي، تحقيق وشرح: كامل الصيرفي:134.

(33) لسان العرب، مادة (قول).

(34) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبي هلال العسكري:106.

(35) الموشح:83.

(36) المصدر نفسه:86.

(37) أنظر: المصدر نفسه:87.

(38) المصدر نفسه:30.

(39) المصدر نفسه:330.

(40) أنظر: طبقات فحول الشعراء: 54/1، والموشح: 53.

(41) أنظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس:46

(42) أنظر: البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون:75/1، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد:261/1.

(43) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم:180.

(44) الخصائص:221/1.

(45) المصدر نفسه: 221/1، وانظر: المعنى القرآني بين التفسير والتأويل، عباس أمير:33.

(46) الموشح:46، وعجز البيت: ((إلى حمام شراع وارد الثمدِ)).

(47) أنظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى:88 - 91

(48) كتاب الصناعتين:66

(49) أنظر: تكوين العقل العربي، د. محمد عابد الجابري: 75،76

مكتبة البحث

- القرآن الكريم.
- أسرار البلاغة، للإمام عبد القاهر الجرجاني(471هـ)، تحقيق: هـ. ريتر، مطبعة وزارة المعارف، اسطنبول، 1954.
- إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيّب بن محمد الباقلاني(403هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر(د.ت).

❖ البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة (د.ت).
❖ تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتّى القرن الثامن الهجري، د. إحسان عبّاس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن،1986.
❖ تكوين العقل العربي، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، 1988م.
❖ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (68هـ)، دار الجيل، بيروت(د.ت).
❖ جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي(القرن الرابع الهجري)، شرحه وقدَّم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط6، 1406هـ - 1986م.
❖ الخصائص، لأبي الفتح عثمان ابن جني(392هـ)، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1371هـ - 1952م.
❖ ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، الجماميز، مصر(د.ت).
❖ ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط3(د.ت).
❖ ديوان الحطيأة، برواية وشرح ابن السكّيت، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1407هـ - 1987م.
❖ ديوان المثقب العبدي، تحقيق وشرح: كامل الصيرفي، دار المخطوطات العربية،1971م.
❖ ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر(د.ت).

❖ ديـوان الهـذليين، مطبعـة دار الكتـب المصـرية، القـاهرة، 1385هـ - 1965م.
❖ رسائل الجاحظ، لأبي عثمان عمرو بـن بحـر الجـاحظ(255هـ)، تحقيـق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1964م.
❖ زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني(453هـ)، تحقيـق: علـي محمد البجاوي، القاهرة، ط1954،1م.
❖ شـرح أسـماء الله الحسـنى، الفخـر الـرازي (606هـ)، تحقيـق: طـه عبـد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.
❖ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة ثعلب(291هـ)، نسـخة مصـورة عن طبعة دار الكتب المصرية، الدار القومية للطباعـة والنشـر، القـاهرة، 1384هـ - 1964م.
❖ شـرح ديـوان المتنبـي، وضـعه: عبـد الـرحمن البرقـوقي، دار الكتـب، بيروت، ط2، 2007م - 1428هـ.
❖ الشعر والشعراء، لابن قتيبة (276هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر(د.ت).
❖ طبقـات فحـول الشـعراء، لمحمـد بـن سـلام الجمحـي (231هـ)، تحقيـق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر(د.ت).
❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابـن رشـيق القيروانـي(456هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط4، 1972م.
❖ عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي (322هـ)، تحقيق: د. طه الحاجري و د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية (د.ت) .
❖ فحولة الشعراء، الأصمعي(216هـ)، تحقيق: محمـد عبـد المـنعم خفـاجي، وطه محمد الزيني، القاهرة، ط1، 1372هـ - 1953م.

❖ الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي (429هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت).
❖ فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج، دار النشر للجامعيين، بيروت، ط1 (د.ت).
❖ كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري (395هـ)، تحقيق:علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1371هـ - 1952م.
❖ لسان العرب، ابن منظور(711هـ)، دار صادر، بيروت (د.ت).
❖ اللغة العربية بين المنطق العقلي والاعتباط، د. عدنان محمد سلمان (بحث مفرز من مجلة المجمع العلمي العراقي)، الجزء الثاني، المجلد السابع والثلاثون، رمضان1406هـ - حزيران1986م.
❖ اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.
❖ مجالس ثعلب، ثعلب(291هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر، ط3 (د.ت).
❖ المخصّص، لابن سيدة (458هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
❖ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي(911هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجّاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي (د.ت).
❖ المستطرف في كلِّ فن مستظرف، شهاب الدين الأبشيهي(850هـ)، تحقيق: عبد الله أنيس الطبّاع، دار القلم، بيروت، 1986م.
❖ المعنى القرآني بين التفسير والتأويل، دراسة تحليلية معرفية في النص القرآني، عباس أمير، مطبعة الانتشار العربي، ط1، 2008م.

❖ منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علـي زويـن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.
❖ الموازنة بـين شـعر أبـي تمـام والبحتـري، لأبـي القاسـم الحسـن بـن بشـر الآمدي (370هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصـر، ط2، 1392هـ -1972م.
❖ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، لأبي عبيد الله محمـد بـن عمـران المرزباني(384هـ)، تحقيـق: علـي محمـد البجـاوي، دار نهضـة مصـر، 1965م.
❖ نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر(337هـ)، تحقيق: كمال مصـطفى، مكتبة الخانجي، مصر،1963م.

Abstract

This paper investigates "the Effect of the Linguistic Methodology in the Old Arab Criticism". Most of the Scholars who studied poetry were linguisticians before being critics; therefore, their critical judgments were in accordance with the linguistic methodology that prevented them from realizing most of the aesthetic poetic images. They considered the analysis of poetry and its criticism as kind of a lexical work. They, however did not realize the significance of *context* in the understanding of the effective inspiring meanings of a text through the interrelationship of all the semantic levels. Poetry for them was a general experience that all poets have in common in the same way they share their language. Accordingly, the interpretation of most of the Diwans (collections of poems) was dominated by this methodology. Those scholars were basically concerned with explaining the vocabulary of the poem rather than what the criticism of poetry required them to do to the poetic image and questioning it. Only through the latter did the poetic wit can be explained in terms of the poets' exploiting of the linguistic power of vocabulary.

Attempting to interpret the Qur'anic verses according to the same methodology, those scholars had also failed to realize many of the rhetorical images and portrays of the Glorious Qur'an. Hence, the linguistic criticism emerged as an aspect of literary criticism. It, then, gave rise to many critical issues and developed them such as that of (the Old and the Modern) which sprang from the core of conflict between poets and linguisticians when time had been a criterion of critics' recourse.

Interest focused on the common verses of poetry, i.e. independent lines of poetry that made sense by themselves, and on the unity of the verse in terms of vocabulary, form, and meaning completion with the completion of the line. Because of the domination of the linguistic methodology over the general critical sense, the

phenomenon of *Tadmeen* (extension in meaning) (*) is considered as a poetic deficiency.

Consequently, the linguistic methodology has contributed much in formulating the principles of the Arab theory of criticism to the extent that the interference between linguistics and literary criticism was a characteristic of the old Arab literary criticism